القصص الديني

الحلقة الأولى

قصص الأنبياء

موسى والعصا

١١

عبد الحميد جودة السحار

القصص الديني

الحلقة الأولى

قصص الأنبياء

موسى والعصا

تأليف

عبد الحميد جودة السحار

الناشر

مكتبة مصر

٣ شارع كامل صدقي - الفجالة

١

كان بنو إسرائيل ــ وهم أقارِبُ يوسفَ الذين جاءُوا إلى مصرَ لمَّا كان فيها وزيرا ــ قد تكاثَرُوا ، حتى أصبَحوا يُعَدُّونَ بمئاتِ الأُلوف ؛ وصاروا من الأَغنياءِ الذين يملكون الأراضى الواسِعة ، مما جَعَلَ مَلِك مصرَ فى ذلك الوقت ، يغتاظُ منهم ، ويأمُرُ بأخذِ الأراضى منهم ، وتشغيلِهم فى الزراعة جَزاءَ أكلهم وشربِهم .

ولم يكتَفِ فرعونُ مِصرَ بذلك ، ولكنه عندما رآهم يتكاثرون ، ويزداد عددهم بسرعة ، أمر أن يُقتَلَ كلُّ مولودٍ ذكرٍ يُولَدُ لهم ، ولا يَبْقَى إلا البنات ، كي ينقصَ عددُهم ولا يزيد .

وكانت زوجةُ فرعَونَ سيدةً طيبةً مؤمنة ، رقيقةَ

القلب ، لا تُحِبُّ قتلَ الأطفال . ولكنَّ زوجَها الملكَ كان مُغْتاظًا من بنى إسرائيل ، ويريدُ أن يتخلَّصَ منهم بهذه الطريقة .

٢

فى هذا الوقت وُلِدَ موسى : فخافت أُمُّهُ عليه ، وأرادت أن تُخبِّئه حتى لا يأْخُذَهُ رجالُ فِرعَونَ فيقتلوه .

ولكن أين تُخفِيه ؟ لقد كان هؤلاءِ الرِّجالُ يفتِّشُونَ عن الأطفالِ المولودين حديثا ، ولا يتركون ولدًا ذكرًا واحدًا من بنى إسرائيل .

وبينما هى فى حَيْرَة ألهمَها اللّه أن تَصْنَعَ له صُندوقًا من الخَشبِ ، وتُلقِيَهُ فى نهرِ النيل ، لعلَّ اللّه ينجيه من الموت ، فيعيش .

فصنَعَتْ ذلكَ الصُّندوق ، ومَهَّدَتْ لموسى فِراشَه ، ووضَعته فيه ، وأقْفَلَت الصُّندوق ، وقالت لبنتها الكبيرة ـ أخت موسى : ضَعِيهِ فى الماء ، وراقبيه ، واعرفى أين يذهبُ به التيَّار . ففَعَلت الفتاة ما أوْصَتْها أمُّها به .

وكان لفرعونَ قصرٌ على شاطئِ النيل . فلما وَضَعتِ الفتاةُ الصُّندوقَ فى الماء ، وقفت تُراقبُه من بعيد ، فرأته يسيرُ مع التيار ، حتى يصلَ إلى ذلك القصر ، وكانت الفتاة تعملُ خادمةً فى القصر ، فذَهَبت إلى أمِّها وأخبَرَتها ، فقالت لها : أنت تشتغِلين فى القصر ، فاذهبِى واعرِفى أخبارَه ، وما يحصُلُ له ، وتعالى خبِّرينى .

٣

عندما رسا الصُّندُوقُ على قصرِ الملـك ، رآهُ أحَـدُ الخدمِ فالتَقَطَه ، ولما فتحهُ ووجَدَ فيـه طفـلا صغيرا ، جرى به إلى سيدته الملكة ـ ولم تكن تَلِد ولم يكـن لها أطفال ـ فلما رأتْهُ فَرِحتْ به ، وقالت لفِرعَون : نحـنُ لا أولادَ لنا ، فلْنَجْعَلْ هذا الطِّفلَ ابننا ، لنَفْرَحَ به في حياتِنا . فوافَقَ على رأيها ، وفرِحَ به هو الآخر .

وأَمَرَت المَلِكة أن يأْتوا له بمُرضِعٍ تُرْضِعُه ؛ ولكـنَّ الطِّفلَ كان يرفُضُ أن يَرْضَعَ من أيَّةِ امرأة ، مما جعـلَ الملكة تخافُ عليه من الموتِ جوعا ، وهو لا يتغذَّى .

عندئذٍ قالت أختُه ـ وهـم لا يعرِفونَ أنها أختـه : هـل أدُلُّكُـم علـى من يُرْضِعُـه ؟ قـالوا لها : أسـرعي وأخبرينا فإنَّ الوَلَدَ كاد يموت . فَأَسـرَعَت إلى أمِّهـا ، وجاءت بها ، فلما رأته خفَقَ قلبُها ، واصفرَّ لونُهـا ،

ولكنها أَمسَكَت نفسَها ، حتى لا يعرفَ أحدٌ شيئا ؛ وبمجرَّد أن قَدَّمتْ له ثديَها شـرِبَ منـه ، ففـرِح أهـلُ القصرِ جميعا ، وفرحت أمُّه في سِرِّها فرحا عظيما .

٤

كـبِرَ موسـى حتـى صـارَ شـابّا ؛ وقـد نشَـأَ قـويَّ الجسم، كبيرَ العقْل ، وتعلَّمَ وعَـرَفَ أشياءَ كثيرة ، وكان الناس يعامِلُونَه كأنَّه ابن المِلِك ، أما هـو فكـان يعرِف في نفسه أنه مـن بنـي إسرائيل ، وكـان يتألَّمُ لحالةِ قومِه ، ويغتاظُ في نفسِه .

وفي يـومٍ مـن الأيـام خـرجَ مـن القصـر ، ودخـل المدينة ، فوَجَدَ فيها رجلين يتشاجران ، أحدُهمـا مـن بني إسرائيل والآخَرُ من المصريين ، فاستغاثَ به قريبُه الإسرائيليّ ؛ فَتقَدَّمَ موسى ولكزَ الرجُلَ المصـريّ في بطنِه بشدَّة ، فوقَعَ ميتا .

عند ذلك نـدمَ موسـى نَدَمـا شـديدا علـى عملـه ، وطلَـبَ مـن اللّـه أن يغفِـرَ لـه . وقـال : يـا ربّ لقـد أَنعَمتَ عليَّ ، فلن أساعِدَ المجرمين أبدا .

ولكنه ظلَّ خائِفًا أن يعرِفَ الناسُ أنّه هو الذى قتلَ ذلـكَ الرجـل ، فيُخبِروا فرعـونَ عـن جريمتِــه ، ولم يرجعْ إلى القصر ، بل اختفَى فى المدينة . وبينمـا هـو كذلك رأى الإِســرائيلىّ بعينـه يتشـاجَر مـع مِصـرىٍّ آخر ، وقد غلَبَه المصــرىّ ، فاسـتغاثَ بموسـى ، فلـم يَمْلـك موسـى نفسَـه ، وأراد أن يضـربَ المصــرىّ . فقال له : « أتريـدُ يـا موسـى أن تقتلنـى كمـا قتلـتَ نفسًا بالأمس » ؟

عندئذٍ عرف أن الناسَ قد عَرَفوا جريمَتَـه ، فاشـتَدَّ خوفُه ، وفى هذه الحالَةِ جاءَ إليه رجلٌ فقـال لـه : يـا موسى ، إن المصريـينَ قـد عَرَفُـوا مـا صنعـت ، وهـم

يتّفِقونَ الآن على طريقةٍ لقَتلِكَ ، فاهْرُبْ سرِيعًا من هذه المدينة ، واسمع نصيحَتى ، ولا تبقَ هنا بعدَ اليومِ أبدا .

٥

خَرَجَ موسى هارِبًا إلى الصحراءِ الشـرقية ، وجعـل ينتقل من بلدٍ إلى بلد ، حتى وصلَ إلى أرضِ مَدْيَن ، وكان قد تَعِبَ وجاع ، فجلس يستريح .

جلس قربَ بئرٍ يشْرَبُ النـاسُ منهـا ، ويسْقُون أغنامهم ؛ وبينمـا هـو جـالسٌ إذْ رأى فتـاتين ترعَيـانِ الغنم ، وقد وقفتا مع أغنامهما من بعيد تُبعِدانِ الغنـم عن الماء ، والرجال يتزاحمون بأَغنـامِهم عليـه ، فقـال لهما موسى : لماذا لا تسقِيان غنمكما ؟ قالتا له : نحن فتاتـان ، ولا نُحـبُّ أن ندخُـلَ فـى وسـطِ الرِّجـال ، لذلـكَ ننتظـرُ حتـى يذهبـوا بأغنـامهم ، ثـم نَسْـقِى غَنَمنا . قال لهما موسى : ولماذا ترعَيانِ الغنــم وأنتمـا

فتاتان ؟ قالتا : إنَّ أبانا شيخٌ لا يقْدِرُ على رعْيِ الغنم، ولهذا فنحنُ نَرعاها .

عند ذلك تقدَّم ، فَسَقَى لهما الغنم ، وهما مستريحتان . فشكرتاه على عملِهِ الطيِّب ، وذهبتا ، وجلَسَ هو في الظِلِّ يدعو اللّه أن يرزُقه ويُنجِّيه .

٦

وبينما هو جالِسٌ إذْ جاءَتهُ إحدى الفتاتين ، تَمْشِي وهي تُخْفِضُ نظرَها إلى الأرضِ من الحياء .

قالت : « إنَّ أبي يَدْعوكَ ، ليجزِيَك أجْرَ ما سَقَيْتَ لنا » .

فذهَبَ معها إلى والِدها فسأَله عن قِصَّته ، وعن سبب مجيئِه ، فأخبرَه موسى بالحقيقة . فقال له الرجل : لا تخفْ فأَنت بعيدٌ عن أرضِ فرعونَ مصر ،

ولا يُمكِنُه أن يأخُذَك من هنا ... وكان هذا الرجل هو النَّبيُّ شعيب عليه السلام .

قالت إحدى البنتين لوالِدها : إنّه شابٌّ قويٌّ وأمين ، ويستطِيعُ أن يخدِمَكَ ويَرعَى الغَنم ، « يا أبَتِ استأجِرْه ؛ إنَّ خيرَ مَن استأجَرْتَ القويُّ الأَمين » .

قال شعيب : إنِّي أُريدُ أن أُزَوِّجَكَ واحدة من هاتين البنتين ، في مقابِل أن تَرْعَى لي الغَنمَ مدةَ ثَماني سنوات ، فإذا أكمَلْتَها عشرَ سنوات ، فهذا فَضْلٌ منك ، ولن أُتعِبَكَ في العَمَلِ يا بُنَيّ ، وسَتَجِدُ أنني رجلٌ طيب إن شاءَ اللّه .

قال موسى : أنا مُوافِقٌ واللّه شاهِد .

٧

وبعدَ عشرِ سنواتٍ أصبَح موسى حُرًّا ، فأَبْدَى رغبَتَه في أن يأخذَ زوجَتَه ويذهب إلى مكانٍ آخر

فوافَقَ شعيب ، وأعطاهُما بعضَ الغنم ، وبعضَ الطعام ، ودَعا لهما ، وَودَّعهما .

وسار موسى عائدا فى طريقِ مِصرَ ، حتى وصل إلى جبلِ الطور . وفى ليلةٍ كان هو وزوجتُه فى الخيمة ، والجوُّ بارد . فرأى نارًا على بُعد ، فقال لزوجتِه : انتظرى هنا حتى أذهبَ إلى هذه النار ، وأُحضِرَ قطعة منها ، لنوقدَ عليها نارًا وندفأ .

ولما ذهب إلى المكان الذى شاهَدَ فيه النار ، لم يجد نارًا ولا شيئا ، ولكنه سمع صوتًا يناديه :

« يا موسى . إنّى أنا ربُّكَ ، فاخلَع نَعْلَيكَ ، إنك بالوادى المُقدَّس طوًى . وأنا اخترتُكَ فاستَمِع لما يُوحَى . إنّنى أنا اللّه لا إلهَ إلا أنا فاعبُدنى ، وأقِمِ الصَّلاةَ لِذِكْرِى » .

سَمِعَ موسى هذا الصَّوتَ فاهتزَّ جسمُه ، وارتَجَفَ

قلبُه ، ووقف صامتا لا يتكلَّمُ ولا يتحرَّك ، حتى عادَ الصَّوت يسألُه عن العَصا التى بيديه : « وما تِلكَ بيمينِك يا موسى » ؟ قال : هى عصایَ أتَوكَّأُ عليها وأَهُشُّ بها على غَنَمِى ، ولِىَ فيها مآرِبُ أخرى (أى فوائد أخرى) .

قال : « أَلْقِها يا موسى . فألقاها فإذا هى حيَّة تَسْعَى » .

ولما رأى موسى عصاهُ قد صارَت حيَّة ، تهتَزُّ وتتحرَّكُ ، وتتلوَّى ، فَزِعَ منها وخاف ، وتركها وجرى .

عند ذلك ناداه الصوت : « قال خذْها ولا تخفْ » فإنها لا تؤذيك ، فرجَع موسى وأمسَكَ بها فإذا هى تعودُ عصًا كما كانت . فعَجبَ موسى عجبًا شديدا .

وناداهُ الصَّوتُ مرةً أُخرى : « أدْخِل يدَكَ فى جيبِكَ تخرج بيضاءَ من غيرِ سُوء » .

ففعل ، فإذا يدهُ بيضاءُ شديدةُ البياضِ تَلْمَعُ فى الظلام . فظَنَّ أنها أُصيبَتْ بمرضِ البَرَص ، ولكنَّ الصوتَ قال له : لا تخَف ، فيدُكَ ليسَتْ مريضة ، ولكن هذه معجزةٌ لك هى والعصا التى تنقلِبُ حيَّة ، فاذهب إلى فرعَون ، وقل له قولا لَيِّنا لَعَلَّه يتذكَّرُ اللَّه ، ويترُكُ القَسوةَ والظُّلم ، أظهِرْ له معجزاتِك لعله يُصدِّقُك .

خاف موسى أن يعودَ إلى مِصرَ ، فَيَقْبِضَ عليه فِرعَونُ ، ويَقتُلَه بدلَ الرجلِ الذى كان موسى قد قتلَه ، وكان لسان موسى محبوسًا ونُطقُه مُتَعَسِّرا ، فخافَ ألا ينطِقِ أمامَ فرعون ، وكان قد تركَ فى مصر أخاهُ هارُون ، وكان رجُلا صالِحا ، فدعا موسى ربَّه : « ربِّ إنى أخافُ أن يُكذِّبون ، ويَضيقُ صَدْرِى ولا ينطلِقُ لِسانى ، فأَرسِلْ إلى هارون ، ولهم

علَىَّ ذنبٌ فأخافُ أن يَقتُلون » .

قال له اللَّه : يا موسى لا تخف وتذكَّرْ أنَّنى نجَّيْتُكَ وأنتَ طفلٌ صغير فاذهب بهذه المعجزات ، وأنا مَعك لا أترُكُك . اذهبْ أنت وأخوكَ هارُون . «فأْتِيا فِرْعَون ، فقولا إنَّا رسولُ ربِّ العالمين » واطلبا منه أن يُطلِقَ بنى إسرائيلَ من العذابِ والتسخير .

٨

سكت الصوتُ الذى يخاطِبُ موسى ، وتلَفَّتَ حولَه فلم يجِدْ أحَدا ، فارتَعَشَ جسْمُه ، ودَقَّ قلبُه ، وعادَ مُسرِعًا إلى الخيمة ، فأَخْبَرَ زوجَته بما رأى وما سمِع ، وقال لها :

ـ هيّا بنا إلى مِصْر ، لأقابِل أخى هارُون ؛ وأذهَبَ أنا وهو إلى فرعون .

وهكذا سارا أيامًا وليالَى حتى وصَلا إلى مِصر .

٩

وقَصَدَ موسى إلى بيتِ أخيه هارون ، وأخبَرَه بما رأى وما سمِع ، فقال هارون : لقَدْ أخبَرَنى اللّه أنا أيضًا أن أذهبَ أنا وأنت إلى فِرعَون ، وما دامَ اللّه قد أمَرَنا بهذا فهيَّا بنا .

ولمَّا دخَلَ موسى وهارون على فرعون : انطلَقَ لسانُ موسى فقال : أنا رسول ربِّ العالَمين ، وقد أرسَلَنى إليكَ ، لِتُطلِقَ معى بنى إسرائيل .

قال له فرعون : أَلَسْتَ أنت ذلكَ الطِّفلَ الذى ربَّيْناهُ صغيرا ، وبعدَ ذلك قَتَلْتَ الرجلَ وهَرَبْتَ ؟

قال موسى : بلى ! أنا فَعَلْتُ ذلك ولكن اللّه تاب علىَّ وعَلَّمَنى وجَعَلَنى رَسُولا .

قال فرعون : وما هو اللّه الذى تتحدَّثُ عنه

وتقول : إنه أرْسَلَك ؟

قال موسى : اللّه ربُّ العالمين . ربُّكم وربُّ آبائِكم الأَوَّلِين .

قال فرعون : وما دليلُك على هذا الكلام الذى تقول ؟ « إن كنتَ جئتَ بآيَةٍ (أى علامة) فَأْتِ بها إنْ كُنتَ من الصَّادِقِين » .

« فأَلْقَى عصاهُ فإذا هى ثُعْبانٌ مُبين ، ونَزَعَ يَدَهُ فإذا هى بَيضاءُ للناظِرين » .

قال الجالِسونَ حولَ فِرعون من الأُمراءِ والحكَّام : « هذا ساحِرٌ عليم » . قال فرعون :

ـ إنَّ عندَنا سَحَرةً كثيرين ، وسَنَجْمَعَهُم ليسحَروا مثل سِحْرِك هذا يا موسى ، وسَنُخَصِّصُ يومًا نجتَمِعُ فيه أنتَ وهُم ، ونَرى مَن الذى يَغْلِب أيُّها الساحر الذى تقول إنَّك رسولٌ من ربِّ العالمين !

١٠

وفى اليومِ المُحَدَّدِ جلسَ فِرعَونُ ورجالُ الحكومةِ وجموعٌ كثيرةٌ من الناسِ فى الميدانِ الواسِعِ أمامَ القصْرِ ، وحَضَرَ السحَرَةُ من كلِ مكانٍ ، وجاءَ موسى وأخوه هرون ، وقال السحَرَةُ لفِرعَون : إذا غَلَبْنا أَتُعطِينا جوائِزَ ومُكافَآت ؟ قال : نعم يكونُ لكم عندِى مَقامٌ عَظيم .

قال السحرةُ لموسى : تبدَأُ أنت أو نبدأُ نحن ؟

قال لهم موسى : ابدءُوا أنتم .

فَأَلْقَوا عِصِيَّهم وحبالَهم ، فظهرت كأنها حياتٌ تتحرَّكُ وتتلوَّى ، فيها الكبيرُ وفيها الصغير ، فخاف موسى فى نفسه عندما رأى المكانَ الواسعَ كلَّه مملوءًا بالحيَّاتِ والثعابين ، ولكنَّ اللّه أوحَى إليه :

« لا تَخَفْ إنك أنت الأعْلَى ؛ وأَلْقِ ما فى يمينك

تَلْقَفْ ما صنَعُوا ، إنَّ ما صَنَعُوا كَيْدُ ساحِرٍ ، ولا يُفْلِحُ الساحِرُ حيث أتَى » .

فألقاها ، فإذا هى حَيَّةٌ ضخمة جدا ؛ تُحرِّكُ رأسَها هكذا وهكذا ، وقدْ فتَحَت فَمها الواسِع ، وأخذَتْ تَلْقَفُ الحياتِ الكثيرة ، وتجرى وراءَها وتبتلِعُها ؛ والناس مفزوعون مرعُوبُون ، حتى لم تَبْقَ حيَّةٌ واحدةٌ مما صَنَعَ السحَرة ؛ وعند ذلك تقدَّمَ موسى ، وأمسكَ بحيَّتِه ، فإذا هى عصا .

عند ذلك عرَفَ السَّحَرَةُ أنَّ موسى ليس ساحِرًا مثلَهم ، ولا بد أن يكونَ صادِقا فى قوله : إنَّ اللّه أرْسَلَه ، وإن اللّه هو الذى يُساعِدُه ، فقالوا : « آمَنَّا بربِّ العالَمين ، ربِّ موسى وهارون وسجدُوا على الأرضِ للّه .

ولَمَّا رأى فِرعَونُ ذلك غَضِبَ غضبًا شديدًا على

هؤلاءِ السَّحَرة ؛ لأنهم آمنوا بإلـهِ موسَى وهـارون ، وقال لهـم : إنـهُ سيُعذِّبُهم عذابًا شـديدا ، فَسَيَقْطَعُ أيديَهـم وأرجُلَهـم ، ويصلُبُهـم فـى جـذوع النَّخـل ، جزاءً لهم على الخُضوعِ لموسـى الساحِر ، فقـد كـان فرعون لا يزالُ يَظُنُّهُ ساحرا ، ولا يُصدِّقُ أنه رسول .

فردَّ السَّحَرةُ علـى فِرعَـون قـائِلين : نحنُ لا نخـافُ عذابَـك ، فـأنت تُعذِّبُنـا فــى الدنيـا ، ولكــنَّ اللّــه سيُدخِلُنا الجنَّةَ فى الآخِرة ، والجنةُ أفضَلُ من الدنيـا ، فاصنَع ما تُريد ، فإننا لن نرجِعَ إلى دينِنا القديم .

١١

عَـزَمَ فرعـونُ أن يُعـذِّبَ هـؤلاءِ السـحرةَ ويَقتُلَهـم كما قال لهم . ولكن قبلَ أن يفعَلَ ذلك فـاضَ النيـلُ فيضانًا شـديدا ، وبـدَأ يُغـرِقُ المُـدُنَ والقُـرَى . فقـال بعضُ الناس : هذا ذنـبُ موسـى وهـارون والسـحرةِ

وبنى إسرائيل ، وإذا كان فرعونُ سيقتُلُهم ويُعَذِّبُهم ، فإنَّ هذا الفيضان يستَمرُّ ويُغرِقُ البلادَ جميعا .

وذهبَ الناسُ إلى فِرعَون ، وقالوا لـه هـذا الكـلام ، وطلبوا منه ألَا يقتُلَ السَّحَرة ، وأن يُخَفِّفَ العذابَ عن بنى إسرائيل . فأرسَلَ فِرعونُ إلى موسى وقـال لـه : إذا هدَّأْتَ هذا الفيضانَ ، فإننى أُطلِقُ لكَ بنى إسرائيل .

فدعا موسى ربَّه أن يُهَـدِّئَ هـذا الفيضـان ، فأجـاب اللّه دعاءَه ، وانخَفَضَ النيل ، وعاد إلى داخِل الجسور .

ولكنَّ فرعونَ استمرَّ فى تعذيب بنى إسرائيل .

وبعـدَ أيـامٍ ظهَـرَ الجـرادُ فــى الحُقـولِ والمـزارِع والحدائِق بكثرةٍ فظيعـة ، وانتشـرَ فـى كـل مكـان ، حتى أكَلَ الزَّرعَ الأخضَرَ كلَّه ، وهجَمَ على البيـوتِ والناس ، فقال بعضُ العُقلاء ، إنَّ هـذا ذَنـبُ موسـى وهارونَ والسَّحَرة ، وإذا كان فِرعَونُ لَـن يُطلِقَهـم ،

فإنَّ هذا الجرادَ يأكُلنا بعد ما أكَلَ الزَّرعَ والثمار .

وذهبوا إلى فِرعَون ، وقالوا له هذا الكلام ، وطلَبوا منه أن يُطلِقَ بنى إسرائيل ، فأَرسَلَ فِرعَونُ إلى موسى وقالَ له : إذا طردت هذا الجرادَ عن الأرض ، فإنَّنِى أُطلِقُ لك بَنى إسرائيل .

فَدعا موسَى ربَّه أن يطرُدَ هذا الجراد ، فأجابَ اللَّه دعاءَه ، ورحَلَ هذا الجرادُ عن مِصرَ .

ولكنَّ فِرعَونَ استمرَّ فى تعذيبِ بنى إسرائيل .

وبعدَ أيامٍ رأى الناسُ ملايينَ الضَّفادِع تخرُجُ من النيل ومن التُّرَعِ والبرك ، وتقفِزُ إلى الشوارع ، وتدخُلُ البيوتَ ، وتنطُّ فى حجورِ الناس ، وفى طعامِهم الذى يأكُلون ، وشرابِهم الذى يَشْرَبون . فقال جماعةٌ من الناسِ الطَّيِّبين : هذا ذنبُ موسى وقومِه، وإذا كان فِرعونُ لا يَرحَمُهم فإنَّ هذه الضفادِعَ لن تتركَ بيوتَنا ،

ولن تَتْرُكَ لنا طعامًا ولا شرابا .

وذهب الناسُ إلى فِرعَون ، وقالوا له هذا الكلام ، وطَلبوا منه أن يُطلِقَ بنى إسرائيل . فأرسَلَ فرعونُ إلى موسَى وقال له :

ـ إذا أبْعَدْتَ هذه الضَّفادِعَ عنَّا فإنَّنى أُطلِقُ لك بنى إسرائيل .

فدعا موسى ربَّهُ أن يرُدَّ هذهِ الضَّفادِعَ عن الناس . فأجابَ اللَّه دُعاءَه ، وعادت هذه الضَّفادِعُ إلى المياه .

ولكنَّ فِرعَونَ استمرَّ فى تعذيبِ بنى إسرائيل .

وبعدَ أيامٍ أحَسَّ الناسُ أنَّ أجسامَهم وملابسَهم قد امتلأَت بالقُمَّل ، الذى يلسَعُهم لسعًا شديدا ، فراحوا يُحكُّونَ جلودَهم بأظْفارِهم ، والقُمَّلُ يتكاثَر ، والهَرْشُ يزيد ، حتى قَطَّعُوا جلودَهم بأظافِرِهم .

وقال الناسُ : إنَّ هـذا ذَنبُ موسى وهارونَ وجماعَتِهما ، وإذا لم يُطلِقْهم فِرعَون ، فإنَّ هذا القمَّلَ سيَمَصُّ دماءَنا مَصّا .

وذهَبُوا إلى فِرعَون وقالوا له هذا الكلام ، وطلبوا منه أن يترُكَ تعذيبَ بنى إسرائيل . فأرسَلَ فِرعَون إلى موسى ، وقال له : هل تستطيعُ أن تطرُدَ هذا القُمَّلَ عن الناس ؟ إنّك إذا فعلْتَ هذا فأنا أُطلِقُ لكَ بنى إسرائيل .

فدعا موسى ربَّه أن يُخَلِّصَ الناسَ من هذا البلاء ، فاستجابَ اللّه دُعاءَه ، واختَفى هذا القُمَّل .

ولكنَّ فرعون لم يُطلِق له بنى إسرائيل .

وفى الصَّباح قَدَّمَ الخدَمُ اللَّبَنَ إلى فِرعون لِيُفطر ، فنظر فوجَدَ الإناءَ مملوءًا بالدم . فغضِبَ غَضَبًا شديدا ، وقال للخَدَم : أهكذا تُقَدِّمون لسيِّدِكم الدَّمَ

ليشْرَبَه ؛ إنَّ جزاءَكم سَيكونُ الذَّبح ، لتَشرَبَ الكلابُ من دمِكم أيها العبيد .

ولكنَّ الخَدَم حَلَفُوا أنهم جاءُوا باللَّبَنِ منَ البَقَر ، وأنَّهم لم يَضَعُوا نُقْطَةَ دمٍ واحدة ، فلم يُصَدِّقْهم فِرعونُ أبدا .

وكانَ رِيقُهُ قدْ جَفَّ من الغَضَب ، فطَلَبَ كُوبًا من الماء ، وعندما نظرَ فيه وجَدَهُ مملوءًا بالدَّمِ أيضا . فصاحَ فى غَضَبٍ شديد : أيُّها الكلابُ سأذبَحُكُم جميعا !

وفى هذه اللَّحظَةِ وَصَلَت الجَماهيرُ إلى القَصرِ تصرُخ وتقول : أدْرِكنا أيُّها المَلِك ، أنْقِذنا من العذاب ، أطلِق بنى إسرائيلَ قبلَ أن نَهلِكَ بسَبَبِهم .

فأَطَلَّ الملكُ عليهم وهو غاضِب ، وقالَ : ما لَكم ! هل جُنِنْتُم ؟ قالوا : إنَّ كلَّ السوائِلِ قَدْ تَحوَّلَتْ إلى دَم . فلَمْ نَعُدْ نَستَطيعُ أن نَجِدَ ماءً ولا لَبَنًا ولا

عسلا . كلُّ شيءٍ قد صارَ دَما ، ارْحَمْنا أيُّها المَلِك .
ارحمنا وأطلِق بنى إسرائيل .

عندَ ذلك عَرَف فِرعَون أن عَبيدَه وخدَمَه أبريـاء ، وأنَّ هـذا ذنـبُ مُوسَـى وهَـارُونَ والسَّـحَرةِ وبنـى إسرائيل . فأرسَلَ إلى مُوسَى وهارونَ وقال لهما : فى هذه المَرَّة سأُطْلِقُ لكما بنى إسرائيل ، إذا ذهَبَ هـذا البلاءُ عن البلاد .

فدعا مُوسَى وهارونُ ربَّهما ، أن يُذهِبَ هذا البلاءَ عن الناس ، وفى الحال ، صار الماءُ ماء ، واللَّبنُ لبنا ، والعسَلُ عسَلا ، وكلُّ شيءٍ كما كان .

فَأَمَرَ فِرعَونُ بإطلاقِ بنـى إسـرائيل ، وقـال لموسـى وهارون : أنتم أحرارٌ ابتداءً مـن اليـوم ، وقـد انتهـى عَنْكُم العذاب .

١٢

فرِحَ بنو إسرائيل فَرَحًا شديدا ، وأقاموا الأفـراح ، وصَلُّـوا لربِّهـم الـذى أنْقَذَهـم مـن العـذابِ الأليـم ، وقالوا لموسـى وهـارون : يجِـبُ أن نَخْـرُجَ كلنـا مـن مِصر ، ولا نَبْقَى فيها أبَدًا بعـدَ ذلـك ، خوفًـا مـن أن يَعودَ فِرعَون فيُعَذِّبُنا من جديد .

قال العقـلاءُ منهـم : لا تُخْـبِروا أحَـدًا بهـذا ، لأنَّ فِرعَـونَ إذا عَـرفَ أننـا مُهاجِرون مـن مصـر ، فإنّـه يَغْضَبُ علينا ، ويُعَذِّبُنا عذابًا شديدا .

وفى السـرِّ ابتَـدأوا يجمعـونَ أمتِعَتَهـم ، ويَربطونَهـا ويَستَعِدُّونَ للسَّفَر ، دونَ أن يشعُرَ بهم أحد .

وانتظرَ بنُو إسرائيلَ حتى طَلَعَ القمَرُ فى الليل ، ثم خرجُوا سِرًّا ، بكلِّ ما قَدَرُوا على حَمْلِه من أمتِعَتِهـم ومن الحُلِيِّ الذَّهَبية ، وسارُوا بسرعةٍ شديدةٍ حتـى لا

يتنبَّه أحدٌ إلى خروجِهم ، واتَّجَهـوا إلى الشَّرقِ جِهـةَ البحرِ الأحمَرِ والبُحَيْراتِ المُرَّة وبحيرة التِّمساح .

وقُرْبَ الصُّبْحِ صحَا بعضُ المِصريين فلم يَجِدُوا بنى إسرائيل فـأخبَرُوا فِرعَـون ، فـأخذَ الحَرس ، وخَـرَجَ وراءَهم بسرعةٍ شديدة .

ونظَـرَ بنـو إســرائيل فوجـدُوا فِرعَــون وجنــودَه يتبعونهم ، فخافوا خوفًا شديدا ، وقالوا لموسى ، لقد كنت سببا في هَلاكِنـا وموتِنـا . فهـا هـو ذا فِرْعَـونُ يَتْبَعُنا ، وسَيَقْتُلُنا جميعا ، مالنا نحنُ ومالَك يا موســى ؟ لقـد كنّـا عائِشـينَ فـى بَلَدِنـا ، ومهمـا كـانَ الشُّـغْلُ والعذابُ فهو أحْسَنُ من الموت . يا ويلَنا . يا ويلَنا ! ويا ويلَكَ يا موسى !

عِندَ ذلك أوحَـى اللّـه إلى مُوسَـى أن يَضْـرِبَ المـاءَ بعصاه ، فضرَبَه فانفلَقَ الماءُ وانشقَّ فيه طريقٌ يـابس ، والماءُ من على جانِبيه كأنّه الجبال .

ولما رأى بنو إسرائيل هذا الطريقَ المفتوحَ في وسطِ الماء ، اندَفَعُوا إليه وجَرَوا جَـرْىَ الخـائِف ، والخـائِفُ يَجْـرِى بسـرعةٍ شـديدة . وظَلّـوا يَجْـرُون ويَجـرُون حتى خرجُوا إلى الشاطئ الآخر .

وكان فِرعَونُ وجنودُه قد وصلُوا في هذه اللّحظَة ، فدخَلُـوا وراءَ بنـى إسـرائيل ، فمـا شـعَرُوا إلاّ والمـاءُ يُطبقُ عليهـم جميعـا ، فَيَبْتَلِعُهُـم بَلْعـا ، ولا يظهـرُ لهـم أثَر .

أمَّـا فِرْعَـونُ فحـينَ أحَـسَّ بـالغَرَقِ صـاحَ : « الآنَ آمَنْتُ أَنَّهُ لا إلَه إلا الذى آمَنَتْ به بَنو إسرائيل ، وأنا من المُسلِمين » .

ولكنَّ هذا لم ينْفَعْه ، فقدْ غَطَّاهُ الماء ، واختَنَق ومات ، وظهَرَ جِسْمُه على سَطْحِ الماء بعد ذلك هو وحْدَه ، أمَّا جنوده فلم يظهَرْ لهم أثر ، ونجا موسى ومن معه ، وسارُوا في طريقهم إلى جبلِ الطور .